العرب
الأحد 2021/11/14
السنة 44 العدد 12240

هدوء المخاوف العسكرية المصرية في ليبيا لا يلغي هواجسها السياسية

السيسي في مؤتمر باريس أكثر ارتياحا لما تحقق من مكاسب في ليبيا

هدوء مصري حذر

القاهرة تبدو وكأنها وضعت من على أكتافها عبئا كبيرا في ليبيا بعد التفاهمات التي حصلت بين أكثر من طرف محلي وإقليمي وأفضت إلى تحديد موعد واضح للانتخابات، ما جعل الرئيس المصري يبدو أكثر ارتياحا في مؤتمر باريس قياسا بمؤتمرات سابقة. الانتخابات في الجارة الغربية تريح مصر من حيث تأمينها أمنها القومي وفرصة كي تتخلص من خصومها الأيديولوجيين.

محمد أبوالفضل
كاتب مصري

هدأت المخاوف المصرية العسكرية في ليبيا كثيرا عما كانت عليه منتصف العام الماضي عندما لوحت وقتها بالتدخل العسكري، لكن تزايدت هواجسها السياسية حاليا بسبب ما يمكن أن يترتب من تداعيات على إجراء الانتخابات في الرابع والعشرين من ديسمبر المقبل، أو حدوث انتكاسة تؤدي إلى تعثرها أو ترحيلها إلى موعد مجهول.

بدا حضور الرئيس المصري عبدالفتاح السيسي مؤتمر باريس الخاص بالأزمة الليبية الجمعة، أكثر ارتياحا هذه المرة ولم يعد محمّلا بهموم عسكرية كبيرة كما كان في مؤتمرات دولية سابقة، وهدف من وراء وجوده في فرنسا دعم رؤية بلاده بشأن التوافق حول إجراء الانتخابات والدفع نحو إيجاد تفاهمات لإزالة العراقيل التي تعتريها، وتسريع وتيرة خروج القوات الأجنبية والمرتزقة، أو على الأقل ضمان تحييدها.

يعود تراجع المخاوف العسكرية إلى صمود وقف إطلاق النار الذي جرى التوصل إليه في أكتوبر من العام الماضي، وحدوث تقارب سياسي بين مصر وتركيا أزال الكثير من المماحكات العسكرية مع القاهرة عبر أذرع الثانية المسلحة في الأراضي الليبية، وضمان الاستقرار في شرق ليبيا كمنطقة حيوية للأمن القومي المصري.

وسد الكثير من المنافذ الأمنية على حدود مصر الغربية مع ليبيا الخطورة التي كانت تمثلها الجماعات الإرهابية من خلال تسللها إلى داخل الحدود المصرية وتنفيذ عمليات إرهابية، فضلا عن اكتمال تواجد القوات المسلحة بكثافة في قواعد عسكرية جديدة، ومراقبتها بدقة لما يجري في ليبيا برا وبحرا وجوا، وهو ما خفض مستوى المخاطر القادمة منها، وقلل من تصاعد المفاجآت العسكرية القاتمة.

منع العودة إلى المربع الأول

ساعدت وسائل الضبط المتنوعة في الحد من خطر التهديد المباشر، ولم تلغ الاستنفار على الحدود المصرية والتشدد في جاهزيتها، لأن اتفاق وقف إطلاق النار في ليبيا لا يزال يحتاج إلى المزيد من الدعم السياسي لمنع انهياره ومواجهة التجاذبات المتقطعة، وهي الزاوية التي تعمل عليها القاهرة لمنع العودة إلى المربع العسكري الأول وما يصاحبه من فرض خيارات لم تعد ذات أولوية في التحركات المصرية.

تعتقد دوائر دبلوماسية في مصر أن هذه مرحلة وضع التصورات السياسية وتحويلها إلى تصرفات على الأرض، وهو ما انتبهت إليه القاهرة منذ حوالي عام عندما دعمت وقف إطلاق النار بين القوى المتصارعة، وشجعت اللجنة العسكرية المشتركة 5 + 5 على مواصلة عملها واستضافة اجتماعات مهمة لها، لأجل استكمال بناء القواعد التي تقود إلى تثبيت الهدوء العسكري ويتسنى الوصول إلى الهدف الكبير، وهو خروج القوات الأجنبية والمرتزقة وتوحيد المؤسسة العسكرية الليبية.

> تطورات تحجيم الأعمال المسلحة أدت إلى تمكين مصر من إدخال تعديلات في خططها السياسية، وفتح أبواب الحوار مع القوى الليبية

أدت مسيرة التطورات في مجال تحجيم الأعمال المسلحة إلى تمكين مصر من إدخال تعديلات كبيرة في خططها السياسية، وفتح المزيد من أبواب الحوار مع غالبية القوى الليبية، وقلصت من إشكالية الانحياز للشرق على حساب الغرب، واستثمرت اختيار سلطة تنفيذية جديدة بمجلسيها الرئاسي وحكومة الوحدة الوطنية في توسيع أطر الانفتاح معهما، ومع قوى سياسية مختلفة في الغرب الليبي.

تعتقد القاهرة أن الدفع نحو إجراء الانتخابات مسألة ضرورية للتخلص من تأثير قوى الإسلام السياسي وهيمنتها على صناعة القرار في ليبيا، فأي انتخابات في الأجواء الراهنة لن تصب في صالحهم، وإذا كانت مصر لديها تفضيلات لمن يصل إلى مقعد الرئيس فلن يضيرها أيضا وصول أي شخصية لا تعمل لحساب تركيا أو الإخوان، طالما أنها لن تعمل ضد استهداف المصالح المصرية في ليبيا والمنطقة.

وتمكنت من فتح قنوات تواصل مع أطراف متباينة تساعدها على التعامل مع أي شخصية أو تيار سياسي يحرص على أمن واستقرار ليبيا، وعدم التدخل في شؤون جيرانها والنأي عن التبعية السلبية لأي قوى إقليمية لها أطماع في الدولة الليبية.

بين الحسابات والرهانات

تأتي الهواجس المصرية السياسية من إجراء الانتخابات وظهور طبقة تعيد تكرار أخطاء المرحلة السابقة عليها وكل عوراتها التي فاقمت التدهور، أو عدم إجرائها واستمرار الاستقطاب الحاد، وفي الحالتين على القاهرة أن تعيد حساباتها ورهاناتها حول إمكانية أن تهدأ الأوضاع في ليبيا قريبا وتبدأ التفكير في سيناريوهات بديلة.

من الصعوبة أن تتحمل مصر ظهور نموذج مشاغب قريب منها يكرر مآسي دول عربية لم تفلح في النجاة من دوامات العنف وحلقاتها المتشعبة، أو يعيد للأذهان تجارب من نوعية اللبننة وتوزيع المحاصصات السياسية البغيضة وما تقود إليه من نتائج وخيمة، والصومالة التي أصبحت عنوانا لاقتتال أقاليم الدولة وانقساماتها الإدارية.

من يراقب التصورات المصرية للتعاطي مع الأزمة الليبية يجد انتقالا من مرحلة الاستغراق في التفاصيل العسكرية إلى التركيز على الرؤية السياسية المتعلقة بالاستعداد لطبيعة المرحلة المقبلة عند إجراء الانتخابات أو الإخفاق فيها، وهو تعديل لافت في المنهج الذي استنزف جانبا من قدرات القاهرة في متابعة التطورات الصغيرة، ومكن دولة مثل تركيا من السعي لهندسة المشهد الليبي بما يفيدها مستقبلا.

بدأت اللعبة بين القاهرة وأنقرة تنتقل من مرحلة عض الأصابع عسكريا إلى عضها سياسيا، فلم تعد هذه المرحلة تتحمل ما كان يجري خلال العامين الماضيين حول تعمد تركيا مضايقة مصر بتوظيف الميليشيات المسلحة والمرتزقة ضمن أطر لخلافات إقليمية معقدة بينهما، لأن هناك قوى دولية كبيرة سئمت من اللعبة التركية، وبدأت تنقلب عليها لأنها منحت روسيا موطئ قدم في ليبيا قد يصعب بتره لاحقا.

تراقب القاهرة هذه التطورات عن كثب، كما تضعها أنقرة في الحسبان، لذلك تحول الخلاف حول ليبيا بينهما من الشق العسكري إلى السياسي، ومن يستطيع توسيع قواعده على المحور الثاني سوف يحصد مكاسب عديدة الفترة المقبلة.

حصدت تركيا مكاسب في الفترة الماضية التي غلب فيها ضجيج السلاح، ويمكن أن تخسرها الفترة المقبلة التي من المرجح أن يتغلب فيها ضجيج السياسة، وحصدت القاهرة بضعة نقاط عندما انفتحت مبكرا على أطياف متباينة في ليبيا، ولا تزال تركيا تحصر نفسها في مكونات تيار الإسلامي السياسي، والتي بدأت تتراجع حظوظه.

ترتاح القاهرة كثيرا عندما تنصب خلافاتها مع تركيا أو غيرها في البعد السياسي، حيث تساعدها مرونتها المعهودة وعدم تبنيها مواقف حدية صارمة في مواقف كثيرة في تسهيل عملية العودة والتصالح مع خصومها، خاصة أنها لم ترتكب حماقات تحول دون العودة، بينما أخطاء أنقرة تبدو مركبة سياسية وتقلل من فرص الثقة فيها.

تبذل مصر حاليا جهودا سياسية على أصعدة ليبية وإقليمية ودولية لإنهاء مرحلة الصراعات المسلحة سريعا وطي صفحتها، بعد خروج القوات الأجنبية والمرتزقة كي يتم التفرغ لترتيب الأوضاع سياسيا، ويلعب الرئيسي السيسي بنفسه دورا في هذا المضمار لأن التوترات العسكرية في ليبيا تجعل أراضيها وجهة دائمة للتنظيمات المتطرفة في محيط بات جاذبا لها، بالتالي سوف تظل الهواجس السياسية لدى القاهرة مستمرة ما لم يتم التوصل إلى صيغة ترسم بدقة مستقبل الحكم في ليبيا.

الغذاء والدواء أم القتل والإيذاء؟

إبراهيم الزبيدي
كاتب عراقي

سؤال مُلح فيه مرارة الأسف والغضب والكآبة يدور في قلوب الملايين من الذين غضب الله عليهم فبلاهم بولادة واحدٍ اسمُه الخميني، وبوريث له اسمُه خامنئي ومن لفّ لفّهما من قريب أو بعيد.

والسؤال هو، كيف كانت ستكون، اليوم، أحوالُ شعوب إيران والعراق وسوريا ولبنان واليمن ودول المنطقة الأخرى، برمتها، لو لم يولد هذا الخميني، أو لو لم يُخطئ صدام حسين فيطرده من النجف قبل عام واحد فقط من سقوط نظام الشاه، أو لو لم تلتقطه فرنسا، ومعها أميركا، من الحدود العراقية – الكويتية 1978، حين قررتا معاقبتنا بتمليكه الدولة الإيرانية، بعظمة جيوشها وثرواتها وموقعها، وعلمائها وخبرائها وأدبائها ومفكريها وفنانيها، مع سبق الإصرار والترصد؟

ألم يكن مؤكدا أن يكون الإيرانيون، اليوم، ومعهم العراقيون والسوريون واللبنانيون واليمنيون والسوريون والسعوديون والإماراتيون، والكويتيون والبحارنة، وباقي شعوب المنطقة أسعد من شعوب أوروبا وأميركا واليابان؟

أما كانت هذه الشعوب لم تعرف قاسم سليماني في إيران، وحزب الله في لبنان، وداعش والحشد الشعبي في العراق، والحوثي في اليمن؟

وأما كانت فلسطين ما زالت هي القضية الأولى التي لا يستطيع ولا يجرؤ مسؤول عربي واحد على مصافحة إسرائيلي واحد، ولو بالصدفة غير المقصودة؟

وأما كانت شعوبنا وشعوب العالم الأخرى لم تعرف كل هذا الإرهاب الذي يمكن القول، بثقة، بأن أكثره إسلامي متطرف تمول إيران ثلاثةَ أرباعه، وتسلحه وتدربه وتضع ثرواتها وطاقاتها في خدمته، وترسله إلى الدول الآمنة لترويعها وإفقارها وإفشالها واستنزافها وزعزعة أمنها واستقرارها؟

ففي اليوم الأول الذي هبط فيه على أرض مطار طهران، 1979، تفجرت في نفسه ينابيع العنف وحب الخنق والحرق والشنق، فبدأ بشعبه أولا، فأكثر من قطع الأرزاق والأعناق، ثم أدخل دول جواره والعالم، بعد ذلك، في عصر المفخخات والميليشيات، وجعل الحكومات، بدل انشغالها بإشباع جياعها، وإشفاء مرضاها، وإلباس عراياها، ملزمة بتخصيص أموالها وطاقاتها لكشف الانتحاريين قبل أن يفجروا أنفسهم في أسواقها الشعبية ومدارسها ومستشفياتها وكنائسها ومساجدها وموانئها ومحطات قطاراتها ومطاراتها.

ومنذ العام الأول من عهده حصر وظائف الدولة الإيرانية باستيراد الخبرات والمعدات والأدوات والمصانع واللوازم الضرورية لإنتاج البنادق والمدافع وذخيرتها ومقذوفاتها، ولتصنيع الصواريخ والمسيّرات والمتفجرات، والتفنن في تغليفها وتعليبها وتهريبها إلى العراق وسوريا ولبنان واليمن، وإلى دول بعيدة في أميركا الجنوبية وأفريقيا وأوربا، للمزيد من الدمار والخراب وسفك الدماء.

حتى الصومال الممزق الجائع الغارق في دخان حروبه المهلكة لم ينجُ من هداياه ولا من عطاياه.

قالت "المبادرة العالمية لمكافحة الجريمة المنظمة العابرة للحدود الوطنية، وهي منظمة بحثية مستقلة مقرها جنيف، "إن أسلحة قدمتها إيران لحلفائها الحوثيين في اليمن يجري تهريبها من اليمن، عبر خليج عدن، إلى الصومال، حيث يحارب مقاتلو حركة الشباب المرتبطون بتنظيم القاعدة حكومة صومالية ضعيفة ومنقسمة".

فلو أراد متخصصون محايدون وموثوقون أن يحصوا عمليات الاغتيال وتفجير المفخخات وتهريب المخدرات التي ينهمك النظام الإيراني الإسلامي المتدين المنتمي لآل البيت، لاحتاجوا إلى آلاف الصفحات، وإلى عدة سنوات لتسجيل المعلن منها، فقط. أما ما خفي، وأما الخلايا النائمة في انتظار أوامر التنفيذ فحدّث ولا حرج.

والخلاصة هي أن هذا النظام (المعمم) لا يرسل إلى جيرانه سوى الموت وخراب البيوت، وسوى الفقر والعوز، وسوى الجهل والضلال. وشعوب العراق ولبنان وسوريا واليمن شهود على ذلك.

أليس هو المسؤول الأول عن هروب الآلاف من منازلهم والعيش في المخيمات، أو الموت غرقا في المحيطات؟

وجرت العادة على أنه، في أعقاب كل جريمة يرتكبها حرسه الثوري، أو يأمر وكلاءه وجواسيسه بارتكابها، يسارع إلى إدانتها ويدعو للتحقيق فيها ومعاقبة فاعليها. يقتل القتيل ويمشي في جنازته، ولا يستحي.

> هذا النظام المعمم لا يرسل إلى جيرانه سوى الموت وخراب البيوت، وسوى الفقر والعوز، وسوى الجهل والضلال. وشعوب العراق ولبنان وسوريا واليمن شهود على ذلك

قال المتحدث باسم الخارجية الإيرانية سعيد خطيب زاده، بعد ساعات على الإعلان عن محاولة اغتيال رئيس وزراء العراق مصطفى الكاظمي، إن طهران "تدين الهجوم الذي نفذ بواسطة طائرات مسيّرة إيرانية الصنع، وتؤكد موقفها الثابت في دعم الأمن والاستقرار في العراق".

ودعا جميع الأطراف "إلى توخي اليقظة لمواجهة المؤامرات الرامية إلى استهداف أمن العراق وتنميته". وأكد أن مثل هذه العمليات "تصب في مصلحة الأطراف التي انتهكت أمن واستقرار واستقلال العراق ووحدة أراضيه طوال السنوات الـ18 الماضية".

آخر سؤال، ماذا لو زرع الله الرحمة والشفقة وحب الخير في قلب الخميني، ثم في قلب وريثه خامنئي فشغل نفسه وحكومته وشعبه بالإكثار من صناعة الأغذية والأدوية والملابس والعطور وآلات الزراعة والصناعة وبناء المستشفيات ودور العجزة والحدائق والمتنزهات؟

ثم ماذا لو دأب على إرسال الأدوية والأغذية والأغطية والملابس وأجهزة التدفئة إلى إخوته في الدين في أرجاء المعمورة، حتى لو خصّ بها، فقط، أبناء طائفته الشيعية التي يدّعي بأنه لا يسعى إلا إلى نصرتها وحمايتها والدفاع عن حقوقها؟

ترى، ما الهدف، وإلى أين يريد الوصول، حتى وهو يرى مشروعه الإمبراطوري الذي ولد ميتا يتلقى الضربات الموجعة، و(بعضها مميت)، في داخل دولته ذاتها، وفي كل مكان له فيه ميليشيا وأسلحة ومعسكرات؟

سؤال ليس له جواب.

إغراق المنطقة في الأزمات